

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص خطبة الجمعة ٢٢/٤/٢٠٢٢م

لا بد لنا في هذه العشرة الأخيرة من رمضان من أن نجتهد لكي نحقق الغاية الأساسية وراء الصيام وهي التقوى، كما وضَّحه ﷺ في قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أن نجاهد لنلجأ إلى الله ﷻ أن يجنبنا كلَّ نوع من السيئات. فقد قال النبي ﷺ إن الصيام جُنة.

وقد وضع لنا المسيح الموعود عليه السلام التقوى:

هي أن نتجنب كل السيئات، ولا يمكننا ذلك ما لم نطلع على كل ما نُهانا عنه القرآن من سيئات. فقال المسيح الموعود عليه السلام: يجب أن تسجلوا تفصيل الأعمال السيئة ثم اسعوا جاهدين أن تحتبوا بفضل الله وتأويده. فهذه هي أولى مراحل التقوى.

ففي رمضان هذا نقرأ القرآن الكريم قعلينا أن نقرأ بنية أننا نتدبر أوامره ونواهيه وسوف نتجنب السيئات ونسعى لإحراز الحسنات والعمل بها، فقد بين حضرته بإرار أن عبادات الإنسان وأدعيته لا تحرز القبول ما لم يتق.

لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وعباداة المرء تقبل حيث تظهر عليه تأثيرات هذه العبادة، فالمصلي الذي لم تنهه ملامته عن الفحشاء والمنكر كمن لم يصل، فالمرحلة الأولى والصعبة للذي يريد أن يكون مؤمنا هي أن يجتنب السيئات، هذا ما يسمّى بالتقوى، فإذا كانت عبادتنا وقيامنا وقرائنا القرآن الكريم لم تغير أعمالنا، ولم نسع لإحراز التقوى التي هي الغاية من الصيام، فلم يتحقق الهدف من الصيام. فعلىنا أن نستعرض أوضاعنا هل نشأت فينا التقوى أم لا؟ وقد قدم حضرته بعض المقتبسات للمسيح الموعود عن التقوى:

"الأل والمقصود الحقيقي هو التقوى، فمن أعطيه يستطيع أن ينال كل شيء. وبدونه لا يمكن للإنسان أن يجتنب الصغائر ولا الكبائر.

والمراد من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أيضا هو التقوى بمعنى أنه مع أن الإنسان يكسب بعض الأعمال ولكن لا يتشجع بسبب الخوف أن ينسبها إلى نفسه بل يعدّها نتيجة الاستعانة بالله.

يقول القرآن الكريم في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ المراد هنا أيضا المتقون. ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ المراد من الجنة هنا هي جنة دنيوية كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ثم يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

وقال عليه السلام: إن أثر التقوى يبدأ في الظهور في المتقي في هذه الدنيا نفسها، (فإذا كانت الحسنات والعبادات التي يقوم بها المرء لا تترك عليه أثرها فهذا الأمر يبعث على القلق. يرسل لي الناس أسئلة كثيرة قائلين كيف يعرف المرء أن عباداته مقبولة. والجواب أن المرء إذا كان يزداد اهتماما بفعل الصالحات وبالإنابة إلى الله تعالى، فليدرك أنه يعملها لوجه الله تعالى وأن الله يبارك في أعماله أيضا.)

فالمسيح الموعود ﷺ يبين أن بلوغ المرء المستوى المطلوب من التقوى محال ما لم يبذل جهده لأداء حقوق الله وحقوق العباد أيضا بمنتهى الدقة والتفصيل.

لو وضعنا هذا الأمر في أسبان، وتحلينا بالأخلاق السامية في جميع أعمالنا وتجارنا ووظائفنا ومعاملاتنا اليومية مع الناس، ورفعنا مستوى عبادتنا، وسعينا لعمران قلوبنا بالتقوى وخشية الله، فهذا سيساعدنا على إلاح أنفسنا كما سيكون وسيلة امته للدعوة والتبليغ.

إذا فارتداء الملابس الجيدة وأكل الطعام الطيب لا تنقص من التقوى شيئا بل تزيدها، وكذلك أخبر ﷺ عن الأخلاق الاجتماعية أن حسن المعاملة مع الأزواج أيضا ضروري والاهتمام بالأولاد وتلبية حاجاتهم وتربيتهم تربية حسنة أيضا ضروري. وهذه الأمور أيضا من التقوى التي أمر بها القرآن الكريم. فلا بد من أداء كل من حقوق الله وحقوق العباد.

ثم بين المسيح الموعود ﷺ أن المتقي يُعطى نورا من الله تعالى، فقال:

التقوى الحقيقية لا تجتمع مع الجهل قط. إن التقوى الحقيقية تكون مصحوبة بالنور كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، ويقول أيضا: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، فسيكون في عقولكم نور وفي كل ما تقولونه تقديرا نور، (لن يصدر أي تصرف خاطئ من الذي يتبع مشيئة الله تعالى، وإذا بدر فسيوجه الله تعالى فورا إلى إلاحه وينبئه إلى الاستغفار. قال ﷺ: وسيكون في كل ما تقولونه تقديرا نور)

جميع سبلكم ستو لكم إلى الصلاح والحسنة، وقواكم ستقوم بأعمال الحلة، وستكون أفكاركم أيضا الحلة، وستنمحي الأفكار السيئة، وحين ينشأ مثل هذا المجتمع يكون مجتمع السالكين على دروب التقوى.

ثم يقول حضرته ﷺ نا حًا جماعته بخصوص التقوى:

المتحلي بالتقوى يحظى بتجل من الله تعالى، ويكون المتقي تحت ظل الله، ولكن يجب أن تكون التقوى خالصة وألا يكون فيها نصيب للشيطان، وإلا فالله تعالى لا يحب الشرك. وإذا كان هناك نصيب للشيطان فيقول الله أنه كله للشيطان.

إن مضمون التقوى أمر دقيق جدا، فاسعوا لإدراكه. رَسَّخُوا عِظْمَةَ اللَّهِ فِي قُلُوبِكُمْ. من كان في أعماله شيء من الرياء رَدَّهَا اللَّهُ فِي وَجْهِهِ.

قال حضرته عليه السلام: كان جميع الأنبياء الذين أتوا يهدفون إلى تعليم سر التقوى. يقول الله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْأُمْتَنُونَ﴾. ولكن القرآن الكريم علّم السبل الدقيقة للتقوى. إن كمال نبي يقتضي كمال الأمة، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فقد حُتِمت عليه كمالات النبوة، وبختم كمالات النبوة حُتِمت النبوة أيضا. والذي يريد أن يُرضي الله تعالى ويرى المعجزات والخوارق يجب أن يجعل حياته خارقة للعادة. فكونوا جاهزين لتحمل كل نوع من المشقة للفوز في امتحان التقوى. عندما يسلك الإنسان هذا المسلك يهاجمه الشيطان بكثرة، ولكنه يتوقف أخيرا في مرحلة معينة. عندئذ يطرأ موتٌ على حياة الإنسان السفلية ويأتي المرء تحت ظل الله. إن ملخص تعليمنا هو أن يُسَجَّرَ الإنسان قواه كلها لله تعالى. (الملفوظات، مجلد ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٢)

وأخى حضرته الخطبة بقاء أعاننا الله على فهم معاني التقوى وعمقها، ولنكون مدركين لروح التقوى الحقيقية وعاملين بها .

وبتوجيهنا أن علينا أن نبذل بكل ما في وسعنا في هذه الأيام المتبقية من رمضان لنذكر حقيقة التقوى ونصبح من المؤددين لحقوق الله وحقوق العباد، وفقنا الله تعالى لذلك، آمين.